

علاقة الترجمة بعلم اللسانيات ودورهما في حركية الأدب المقارن

The relationship between Translation and Linguistics and their Role in the Dynamics of Comparative Literature

كهدحو أمينة

Amina.dahou@univ-relizane.dz

جامعة غليزان / الجزائر

تاريخ النشر: 2022/06/16

تاريخ القبول: 2022/05/14

تاريخ الاستلام: 2021/10/31

ABSTRACT:

ملخص البحث

The relationship between translation and linguistics has turned out to be a systematic field of knowledge that seeks structural schemes. In order to interpret the human speech, translation, as a process of linguistic contact, had to benefit from the concepts and procedures of this field in order to secure the transfer process from the original language to the target language. This ensures a precise practical comparative study, as long as the language secures its peculiarities. Due to the dissemination of literary tastes from one language to another, translation has led to the advancement of many intellectual works, which qualified it to impose itself on the comparative field, and even to consider itself as the mainstay for bridging the comparative junction. This fact induced comparative literature to delve into the historical and linguistic relationships of various peoples that are positively or adversely affected by their literatures and cultures to eventually produce a text that goes beyond the barriers of time and space.

أوضحت العلاقة بين الترجمة واللسانيات حقلا معرفيًا نسقيًا يتوخى الطروحات البنوية. قصد دراسة وتفسير اللسان البشري، فاستوجب على الترجمة بوصفها عملية احتكاك لغوي أن تستفيد من مفاهيم وإجراءات هذا الحقل، بغية تأمين عملية النقل من اللغة الأصل إلى اللغة الهدف. الأمر الذي يضمن دراسة عملية مقارنة على الوجه الدقيق مادامت اللغة أمنت خصوصياتها.

ولما حظيت به الترجمة من نشر للأذواق الأدبية من لغة إلى أخرى، فإنها أدت إلى ارتقاء العديد من الأعمال الفكرية. الأمر الذي أهّلها أن تفرض نفسها على الساحة المقارناتية، بل واعتبرت نفسها الركيزة الأساسية لتجسير معبر المقارنة وقد اتضح هذا في حاجة الأدب المقارن لدراسة العلاقات التاريخية واللغوية لشعوب مختلفة تأثرت إيجابيا أو عكسيا بأداب وثقافات بعضها. لتبرز في الأخير عملا يتخطى حواجز الزمان والمكان.

مجلة لغة – كلام / مخبر اللغة والتواصل جامعة غليزان (الجزائر)

1. البوثقة التاريخية للترجمة وصلتها بالمسار اللساني:

رافقت الترجمة منذ ارماساتها نموّ الجماعات البشرية، إذ لم تنم هذه الأخيرة نموًا منعزلاً، بل جمعت على مرّ التاريخ علاقات مختلفة من حرب وصلاح وتجارة. إزاء هذا الأمر، كان لا بُدّ من وجود مزدوجي اللغة لتأمين التفاهم، ولما كانت الطبيعة الإنسانية بحاجة إلى التحاور والمشاركة وبالتالي التواصل الذي نشأ عن تعدّد التجمعات البشرية، تطلّبت الحاجة في المقابل إلى تطوير عملية الاحتكاك بهدف تخفيف العزلة بين البشر. عندئذ، اقتضت الضرورة ابتكار نظام تواصل مُمثلاً في اللغة البشرية بكلّ مميّزاتها اللسانية.

« وقد حفظ لنا التاريخ نص معاهدات معقودة منذ ثلاثة آلاف سنة بين المصريين والحيثيين باللغتين المصرية والحيثية »¹

والحديث عن العلاقات بين الجماعات البشرية يسوقنا إلى الحديث عن اللغة، فهي دون شك، الأداة التي تميّزنا بالإنسانية وتخصّنا عن الأنواع الحيوانية الأخرى، واللسانيات كانت العلم الذي انفرد بدراستها والتغلغل فيها. في هذا الصدد يجدر بنا التنويه إلى أنّ العلاقة بين اللسانيات وتعليمية اللغات، لم تتمكّن من الثبات في بداية أمرها، هذا لأنها لم تكن واضحة المعالم، إذ أنها لم ترتق ابستمولوجيا وبيداغوجياً إلى المستوى المنشود ولذا ظلت النتائج المترتبة عن ذلك محدودة وإن اتسعت، فتلازمها مساحة من الضبابية.

إلا أن تلك المحدودية كانت حافزاً للرقى بالوعي العلمي البيداغوجي في هذا المجال، كما كان لها فضل في التنوير بضرورة استثمار المفاهيم اللسانية في مجال تعليمية اللغات، علماً أن اللغة كما تؤكد كريستيفا، « لها وظيفة تعليمية فهي وسيلة معرفة »²

فتعليمية اللغات تُعدّ حقلاً خصباً في إثراء حقول المعرفة الإنسانية ومردّد ذلك أنها مركز استقطاب لمجموعة من المعارف والعلوم، كما يحيلنا الحديث عن علاقة اللسانيات بالترجمة إلى قضية التنظير، أي امكانية دراسة المسائل النظرية التي تثيرها عملية الترجمة من مثل مسألتي الأمانة والتصرف في المستوى الأول، وفي المستوى الثاني المقصود منه - الترجمة الفورية - نُحيلنا الدراسة إلى ما أفضت إليه هذه النظريات من علاقتها مع اللسانيات، من خلال ذلك التحديد الذي خلّصت إليه حول مفهوم مطلق من نظرية التلقي. أمّا عن المستوى الثالث فيسوقنا لدراسة العلاقة الى ما توصلت إليه الدراسة التوفيقية بين علم الأصوات والترجمة الفورية. هذه المستويات الثلاث هي التي تحدّد مسار البحث، فإذا كان المستوى الأول دافعا إلى النقاش المستفيض الذي قاده خاصة جورج مونان في كتابيه " اللسانيات والترجمة والمسائل النظرية في الترجمة " حيث استعرض امكانية الحاق الترجمة بالدرس اللساني، إذ يصرّح « لا شك في أن حركة الترجمة ليست غائبة عن الألسنية، فالواقع أننا ما إن نصف بنية لغة ما بلغة أخرى وما إن ندخل في الألسنية المقارنة حتى نجد عمليّات الترجمة ظاهرة أو مستترة »³

مثل هذا الموقف يؤكد على وجود علاقة رصينة بين الترجمة واللسانيات التي أضحت حقلاً معرفياً نسقياً تبني الطروحات البنيوية، قصد دراسة وتفسير اللسان البشري، فاستوجب على الترجمة بوصفها عملية احتكاك لغوي *contact linguistique* أن تستفيد من مفاهيم واجراءات هذا الحقل بغية تأمين عملية النقل من اللغة الأصل إلى اللغة الهدف.

فالترجمة بدأت تحتك بصفة رسمية باللسانيات قصد تفسير مسائلها النظرية والمنهجية وذلك تحت تأثير جملة من العوامل تتصدرها:

« مبادرة جمعية الكتاب المقدس "Bible society" في الولايات المتحدة الأمريكية باستقطاب جماعة من اللسانيين المختصين لإدارة شؤون دائرة الترجمة تحت اشراف يوجين نيدا ومع هذه المحاولة بدأت الدراسات النسقية لمسائل الترجمة قيد التصنيف إلى يومنا هذا »⁴

- استحداث تقنية تمثلت في الحوسبة الالكترونية للترجمة. الأمر الذي أثار وسيثير مسائل السنية متصلة بتحليل جميع عمليات الترجمة، وبحكم أنها كانت وليدة اختلاف الألسن فإن علم اللسانيات كان أكثر علم تناول الصعوبات المطروحة من قبل الترجمة.

فما هو ممكن هذه الصعوبات؟

لا مناص من الاعتراف أنّ مسألتي الأمانة والتصرف من أبرز الإشكاليات التي تطرحها النظريات الترجمية على الصعيدين النصي *textuelle* وخارج النص *extratextuelle* وكذلك تداخل النصوص *intertextualité*، الأمر الذي زاد من احتمال ربط هذه المسألة بعلاقة الفكر واللغة.

أما إذا سلمنا باستقلالية الفكر عن الجانب اللغوي، فقد أكد جورج مونان أن الترجمة تبقى ممكنة ولا تثير سوى القليل من الصعوبات اللغوية. بمعنى أن النقل من لغة إلى أخرى لا يجب أن يكون نقلاً فورياً، وإنما نقلاً عن طريق وضع الواقع الداخلي الخاص بكل لغة تحت محك التحليل البنيوي ثم معالجة السياق لسانياً، هذا لأن اللسانيات قامت بتفسير العديد من الظواهر والقضايا العالقة بالترجمة « وقد كانت اللسانيات الأمريكية، ممثلة أساساً في اتجاه بلوم فيلد واتباعه وهو أول من حقق الربط بين الترجمة واللسانيات على الصعيد النظري وقد تعزز هذا الربط بصفة علمية مع السوفيات وتحديدًا فيدوروف *Fedorov* الذي عزل عملية الترجمة لكي يدرسها دراسة عملية »⁵

فكلاً من ليونارد بلومفيلد *Leonard Bloomfield* وفيدوروف *Fedorov* اعتبرا أن كل نظرية ترجمية ينبغي أن تلحق بالعلوم الانسانية التي تعنى بدراسة تراكيب كلمات اللغة والبحث في العلاقة الموجودة بينهما، بمعنى أنّ اللسانيات تؤكد من جانب خفي على ضرورة الدراية بعلم النحو لكلا من اللغتين، المنقول منها والمنقول إليها. فالصعوبات الناشئة عن اكتساب اللغة دون الاكتساب المتلازم للأوضاع التي تستعمل فيها كلمات وتراكيب اللغة، قد لقيت الحلول الناجحة من قبل علم الألسن « لهذا بقيت الترجمة إلى عهد قريب تعتبر وجهاً من وجوه الكتابة الألسنية »⁶ والتي من شأنها

أن تقود إلى ادراك حقيقة انتزاع كل لغة من الواقع المعرفي. إلا أن التعلق الشديد بمضمون النص في اللغة الأم من الأمور التي لا تجعل الترجمة سهلة المنال، ذلك لأنها تجعل المترجم يبتعد عن فكرة الترجمة الحرفية - وهي مشوهة للمعنى على أقل تقدير - هذا من جهة، ومن جهة أخرى تُيسّر للقارئ عملية الفهم، لأن المترجم كان بصدد ترجمة المعاني النصية، لذلك قد تكون الصعوبة تلك، ناشئة عن عدم حسن استخدام الأساليب اللغوية. وفي هذا الصدد يقول المترجم جويس Joyce: « إن الترجمة هي الطريقة الأكثر حذراً للقراءة »⁷

فحركة الترجمة ليست غائبة عن الألسنية التي تجعل المترجم يتفحص عمله بالضبط حين يترجم، إذ تحصّنه من الوقوع في الخطأ.

وفي خضم هذه الأقوال والآراء، كانت حركة الترجمة في اللسانيات واسعة النطاق بالعالم العربي وأفضل مثال يمكن أن ندعم به هذا القول، هو أن كتاب فرديناند دي سوسير Ferdinand de Saussure " محاضرات في الألسنية العامة " تمت ترجمته إلى العربية أكثر من مرة وكل ترجمة تحمل عنوانا يختلف عن باقي الترجمات « فهناك الترجمة المصرية التي أنجزها أحمد نعيم الكراعين سنة 1985 بعنوان فصول في علم اللغة العام ثم الترجمة العراقية من انجاز يوثيل عزيز سنة 1987 بعنوان علم اللغة العام و الترجمة المغربية أنجزها عبد القادر القيني سنة 1987 كذلك بعنوان محاضرات في اللسان العام »⁸

إلا أن صدور أكثر من ترجمة لكتاب دي سوسير De Saussure ينم عن عدم الاتفاق على عنوان موحد، ودليل على فردية هذه العملية وانعدام للتنسيق بين الباحثين العرب، حتى وإن كان في هذا التعدد ثراء وخصبا من الناحية اللسانية في مضمونها ومن الناحية الأكاديمية في منهجها وسبل تحقيقها. كما يتبين لنا أن اللسانيين العرب الحداثيين، أدركوا أهمية هذا العلم وتبينوا ضرورة الإلمام به إماما واسعا ليتمكنوا من ابراز نتائجه وما لها من بالغ الأثر والأهمية في الالتحاق بركب اللسانيات المعاصرة.

يقول صالح القرمدي: « إن الاهتمام بالألسنية سواء في هذه الديار أو في العالم العربي بصورة عامة أمر حديث العهد نسبيا، إذ لا نكاد نجد منه أمرا يذكر قبل الستينات، سواء في ميدان التدريس أو البحث »⁹

أول ما نستشفه هو الميلاد الحديث للسانيات في الوطن العربي والتأخر في مواكبة التطور الذي شهدته اللسانيات الغربية، ونتيجة لهذا الوضع ظهرت حركة ترجمية حديثة محاولة تدارك ذلك التأخر الذي شهدته اللسانيات العربية دون غيرها من لغات العالم، وقد واجهت هذه الحركة زحما هائلا من المصطلحات الناتجة عن التطور المذهل الذي عرفته اللسانيات ومختلف مدارسها. يقول الدكتور أحمد يوسف:

« ولعل من أهم القضايا التي تشغل بال الباحثين، إشكالية المصطلح اللساني وكيفية تعريبه »¹⁰

الأمر الذي ينبئنا بأن الترجمة تمت بطريقة فردية، بحيث يقترح كل باحث - وفق ما تمليه عليه مرجعيته الفكرية - قائمة من المصطلحات.

فكيف لهم إذن أن يتوصلوا إلى وضع ركائز للدراسات اللسانية المعاصرة ؟؟

ما لا يمكن نكرانه أنّ اللسانيات استطاعت أن تدخل تغييرات جذرية على التاريخ اللغوي ومكنت الدرس اللساني من الخروج من المعيارية إلى مجال الوصف، لذلك لا بدّ من ادخالها إلى عالم التكنولوجيا الحديثة. فاللسانيات فرضت وجودها على كلّ ميادين المعرفة الإنسانية وهكذا استطاعت أن تعيد هيكلة ومنهجة العلوم الإنسانية الحديثة بما فيها الترجمة التي أمدتها فعلا بحلول ناجحة لمسائل عالقة ما كان لعلم آخر تقبلها، ممّا أفضى إلى تشكيل معبر يتم من خلاله التواصل مع الغير. الأمر الذي يؤكد أن الترجمة محرّك هام لتاريخ الحضارة الإنسانية وأن الائتلاف والاختلاف اللذان يتميز بهما تاريخ المنافسات بين المجتمعات أمر حتمي، تستطيع الترجمة أن تتغلب عليهما حيناً وأن تتحايّل عليهما حيناً آخر. « فالنص الأدبيّ عالم صغير وجداني لغويّ مكمل ومستقل بذاته، فلا تبرير لوجوده إلا برغبة المؤلف في التعبير بصيغة معينة واتصال هذا التعبير بوجدان القارئ »¹¹

انطلاقاً من هذا تتبين لنا الصلة المثلى بين الشعوب، لكن حتمية الاختلاف بينهم أمر لا مفر منه ولا يوجد بديل لانتهاج طريق الترجمة في أكثر الأحوال لكي يخرج العمل الأدبيّ من بيئة لغوية إلى نظام لسانيّ آخر، فالترجمة أداة هامة في التواصل بين الشعوب وفي رفع المستويات للمحرومين من الثقافة العالمية وتفتح أبواب المعرفة أمام المتعطّشين للارتواء من ثرات الحضارات المختلفة وهنا إشارة بيّنة إلى حقل معرفيّ قام بتبنيّ الصلات بين الآداب المختلفة وعلى ما ينشأ من تأثيرات وتأثرات.

2. دور الترجمة في إثراء الحقل الأدبي المقارناتي:

صرّح الدكتور محمد غنيمي هلال عن الأدب المقارن أنه « يدرس مواطن لتلاقي الآداب في حاضرها أو في ماضيها و ما لهذه الصلات التاريخية من تأثير أو تأثر أيّا كانت مظاهر ذلك التأثير أو التأثير »¹² ولهذا فأني تقرير عن الأدب المقارن يستوجب الوقوف عند حقل الترجمة وبالتالي « فهو حديث عن بناء شاهر ومجهود مورث منذ أقدم القرون ومع أعرق الحضارات ولا يزال متواصلاً في عالم بات التواصل والتكامل على مستويات عدة »¹³

إنّ الإدلاء الذي صرّح به محمد غنيمي هلال، يُفصح بجلاء عن مدى اقتران الترجمة بالآداب المقارنة من جهة، و توغّلها في القدم وسيهرما جنباً إلى جنب من جهة أخرى، وممّن أقروا برصانة هذه العلاقة سوزان بسنت Bassnett Susan إذ تقول: « وما زالت الترجمة قوة تشكيل رئيسية في تطور الثقافة العالمية ولا تستطيع أية دراسة في الأدب المقارن أن تنجز دون اكتراث

بالترجمة»¹⁴. وربما تسبق أولاهما (الترجمة) ثانيها (الأدب المقارن) إذ لا مجال لمعرفة أدب أمة أخرى إذا لم ندرس لغتها ولم نطلع على ثقافة شعبها، وهذه نقطة لا يمكن تجاوزها، وإلا لن يمتدّ جسر المثاقفة بين الأمم. الأمر الذي يُكسب الدارس المقارن فرصة للتعمق في تلك الخاصية.

وفي الحديث عن إمكانية الترجمة لتجاوز الحدود الإقليمية وتحديث المعارف الأدبية يقول رشيد برهون: «إنها المجال الذي تلتقي فيه اللغات ويتحقق فيها التفكير المقارن، تفكير يقف على التماثلات والاختلافات بينها، قصد الوصول إلى تلمس الدلالات المتعددة التي يتيحها التأويل وإلى تمثل قضايا الاختلاف والنسبية والانفتاح»¹⁵

فالترجمة في عمومها لا تقتصر على نقل آلي من مجموعة رموز إلى مجموعة أخرى، بل هي منهج للبحث عن نقل مفاهيم إلى مفاهيم مقابلة لها في اللغة المنقولة إليها، لذلك فهناك ضرورة ملحة أخرى هي ضرورة تصنيف مجموعة من الموسوعات المتخصصة في فروع المعرفة المختلفة تعيّن ماهية المفاهيم المتداولة في النص المطلوب ترجمته، تعيينا يضمن دقة الفهم ووضوح التعبير، مع ذلك فثمة قضية لا بد من مواجهتها في هذا المجال، هي قضية التقابل بين اللغة الأصلية واللغة الهدف، إلا أن هذا التقابل لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون تاماً، لأن اللغات ما هي إلا ثمرة تطورات جماعية في بيئة معينة وفي تسلسل تاريخي معين.

ومما لا شك فيه أن الحضارة الأوروبية ما هي إلا وليدة حركة ترجمة كبرى ويكفي أن نلاحظ أن النهضة الأوروبية التي ظهرت في القرن الثاني عشر، إنما هي نتيجة اتصال أوروبا ويدرلي الدكتور طه حسين بشهادته عن فضل الأدب العربي «إذا استطاعت أوروبا أن تفخر الآن بعلمائها المستشرقين فأنا واثق بأنها مدينة بهذا للأدب العربي فلولا سيبويه والجاحظ والمعري وغيرهم لما وجد عند الفرنسيين رينان ولا كازانوف ولا ماسينيوس ولا غيرهم»¹⁶

كما يجدر بنا التنويه إلى الترجمات العديدة لألف ليلة وليلة ومدى التأثير الإيجابي الذي بصمته على مختلف الأجناس الأدبية وهذا الأمر يعتبر بشري للأدب المقارن، إذ يمدّه ذاك الزخم الترجمي لليالي الشهزادية بأرضية فسيحة لإحداث العملية المقارناتية، الأمر الذي يؤهنا للربغة في المزيد للتسلح بما يمكننا من الغوص في هذا الميدان «والمهم في التأهب للإقدام على الأدب المقارن أن يجمع الدارس بين قدرتين قلما تجتمعان في الشخص نفسه، وهما التعمق في الثقافة تعمقا راسخا والقدرة على الاطلاع بتوسع لغة أو أكثر من اللغات الأجنبية»¹⁷

فرحلة الأدب المقارن هي رحلة كشف وبحث عن مقابلات وأصداء لروابط ذهنية قد لا تكون معروفة من قبل، ولا بدّ لمن يستعد لهذه الرحلة أن يكون مطمئنا لثبات جذوره الثقافية حتى يستطيع إجراء المقارنة المطلوبة والمقصود من هذا القول، التأهب لإطلالة مغايرة عن التجربة الانسانية الأدبية ككلّ متشعب الظواهر جدير بالدراسة والتنقيب، كما تستلزم دراسة الأدب المقارن قراءة النصوص المختلفة بلغتها الأصلية إذ أن لكل لغة خصائص وروح لا تتذوق إلا بقراءة

نصوصها وأحيانا إلا بعد إعادة قراءتها وهذا ما يعرف بنهم القراءة. كما يمكن اعتبار هذه الطريقة احترازا من الوقوع فيما لا يتوافق مع معنى النص الأصلي» فالترجمة تختلف فيما بينها، فتارة تكون دقيقة أمينة وتارة يُتصرف فيها»¹⁸

بمعنى أن اتباع أيّ منهج ترجمي لا يُعدّ سبيلا كفيلا لإجراء عملية مقارناتية بين نتاجين أدبيين، هذا لأنه يجب قراءة النص باللغة الأم التي كتب بها النصين إذا ما تماشنا وفق ما نصّت عليه المدرسة الفرنسية.

فالإلمام بالمعارف اللغوية مع تفسير وتأويل ما قد يكون لها من دلالات، تُعد نقطة البدء في البحوث المقارنة، ثم إنها أولى مظاهر العلاقات بين الآداب في تأثيرها، فإطلاع المترجمين على النصوص الأدبية بالغ الأثر لدى الباحث المقارن. إذ يُعد تبنيهم لقراءة النصوص الأدبية بلغة مغايرة، أساسا لمعرفة مدى استقبال الأعمال المترجمة للكتاب والشعراء لدى الشعوب الأخرى، الأمر الذي يجعلنا ندرك قيمة العمل الأدبي خارج موطنه والدليل عند بعض من الكتّاب الذين حظوا بمكانة مرموقة في غير لغتهم.

لنذكر على سبيل المثال: «قصة روسو Rousseau المسماة هلويز الجديدة la nouvelle héloise ظهرت الطبعة الأولى منها في هولندا في نوفمبر عام 1960 وفي أبريل عام 1961، كما ظهر لها من الترجمة الإنجليزية طبعتان في إنجلترا»¹⁹

أمام هذا الاثبات، ندرك مكانة جان جاك روسو Jean-Jacques Rousseau خارج موطنه وما حظي به من نجاح وتأثر لدى الإنجليز. الأمر الذي يؤكد مهام الترجمة وسعيها في تذوق مختلف الآداب، وكدليل آخر، «فقد أدّت العلاقات الواسعة بين العرب والفرس إلى انتشار لغتهما وتبادل التأثير فيما بينهما، فاللغة الفارسية الجديدة وإن أصبحت لغة الفرس القومية، إلا أنها مع ذلك عاشت مع العربية جنبا إلى جنب في تآلف وتعاون وتفاعل، وقد أثرت كل منهما في الأخرى وتفاعلت معها»²⁰

فذاغت ترجمات العديد من الأعمال العربية إلى الفارسية الحديثة وكذا العكس، على سبيل المثال: كتاب كليله ودمنة المترجم من الفارسية إلى العربية. ولكن علينا الانتباه إلى الاختلاف بين الأصل والمترجم فلذلك الأخير- الاختلاف - معناه وسببه من تفرّد ذوق العصر أو الأمة التي ترجم إليها، ومن اختلاف أغراض المترجمين الاجتماعية أو الفردية «فيلاحظ مثلا الاختلاف الكبير بين كليله ودمنة لابن المقفع وبين ترجمته إلى الفارسية الحديثة على يد أبي المعالي نصر الله. ففي الثانية سجع وصبغ للكتاب بصيغة اسلامية واضحة»²¹ ما يؤكد لنا اجتياز النثرين العربي والفارسي لحقبتين كل واحدة منها تنماز عن الأخرى بخصائص معينة.

وفي هذا السياق، تفرض الدراسة التأكيد على أن اختلاف اللغات والإلمام بثقافة الشعوب هما الحدّان الفاصلان بين أدب وآخر في مجال الدراسة المقارنة، فاختلافهما شرط لقيام

الدراسة الأدبية المقارنة، فكان بطبيعة الحال من مهام هذا الحقل المعرفي، ترقّب سير الآداب في علاقاتها بعضها ببعض والأكثر من هذا فإنّه يساعد على خروج الآداب القومية من عزلتها لتكسب فرصة التقابل أمام نصوص أخرى، فتتكشف فيما بعد مواطن التلاقي والاختلاف. ومكمن هذا الفضل في أنّ عملية التواصل ارتكزت على رغبة الباحث المقارن في تلاقح أفكار وثقافات الأمم لغرض الاكتساب المعرفي، على أنه مسار إنساني متكامل يهدف إلى مدّ الجسور وقد وُكّلت هذه المهمة إلى الترجمة بوصفها كما يقول جون روني لادميرال **Jean-René Ladmiral** :

«عبور بين ثقافات أو تواصل ثقافيّ، ذلك أن اللغة متضامنة مع سياق ثقافي يحتم إضافة الأفق الخارج لساني إلى نظرية الترجمة، و الترجمة إذن ليست للغة ولكن للكلام»²²

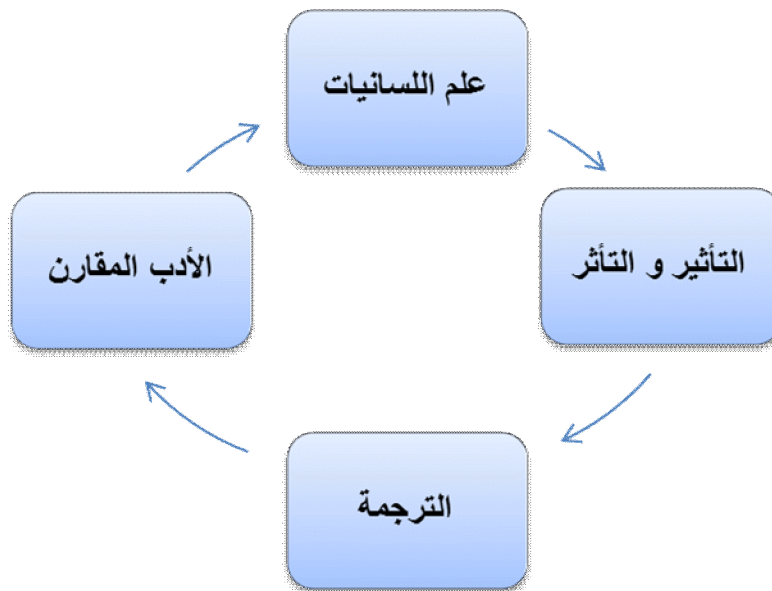
وحيث إنّ النظرية التواصلية تتأسس في تعاملها مع اللغة بوصفها أداة للتبليغ، أي تواصل ثقافة مرجعية وثقافة متلقية للموضوع – بحسب رأي جاكوبسون **Jakobson** – فالأمر هنا يتطلّب دقة اختيار الألفاظ من ناحية وحسن الصياغة للجمل من ناحية أخرى، فتتدخل فنية الترجمة التي تفضي إلى نص مسبق، وبالتالي تيسر عملية التواصل الحقيقي بين النص المصدر والنص الهدف مع توافر مكونات تضبطها اللغة في مهمتها الوظيفية ومن هذه المكونات:

« مكون الاستجابة الوجدانية والشعور الصادق اتجاه النص الهدف لتوصيل الرسالة إلى المتلقي.

- مكون التأثير في المتلقي، وذلك باستخدامه الوسائل التأثيرية ضمن اجراءات السياقات اللغوية التي تأخذ طابع الإقناع، وفق نسق اللغة المنقول إليها تفاديا للفتور أو التراخي في التفاعل مع النص وهذا ما أطلق عليه جاكوبسون ب " الإرجاعية " .

- مكون الموقفية، وتتعلّق بمناسبة النص الهدف للموقف من خلال التعبير عن دلالة ما، والتعبير عن هدف ما»²³

من خلال ما تقدّم، تتضح لنا العلاقة التكاملية بين الترجمة والأدب المقارن والتي ترسم بخط جدّ لسانيّ. هذا لأنّ الجماعات البشرية لم تنم نموًا منعزلاً وأنه من طبع الانسان الحاجة إلى التحاور والتواصل والفضول لمعرفة ما عند الآخر، الأمر الذي يجعله يتفاعل، فإمّا يؤثر أو يتأثر وإن كان على اطلاع بلغة الآخر فإنه حتماً سيتّرجم. ويمكن تلخيص هذه العلاقة في المخطط الآتي:



فالترجمة هي فعلا الباعث الحقيقي للذة البحث في الأدب المقارن الذي يجتاز حواجز الزمان و المكان. إلا أن مبعث البحث، أُسس إما تأثراً أو تأثيراً بالمكتسبات المعرفية لجماعات بشرية متصلة ببعضها البعض عبر أنظمة لسانية.

إحالات الدراسة:

- ¹ جورج موان: ط1 1415هـ-1994م، المسائل النظرية للترجمة، تر: لطيفة زيتوني، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص 5.
- ² عبد الجليل مرتاض: ط1 2003، اللغة والتواصل، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع. الجزائر، ، ص 18.
- ³ جورج موان، المرجع السابق، ص 55.
- ⁴ بصافي رشيدة: ط1 2003، مقاربات في تعليمية الترجمة الفورية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ، ص 81.
- ⁵ المرجع نفسه، ص 84.
- ⁶ جورج موان، المرجع السابق، ص 7.
- ⁷ جورج موان: اللسانيات و الترجمة، تر: حسين بن زروق، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ص 20.
- ⁸ عمر لحسن: 2003، اللسانيات و الترجمة، مجلة الآداب الأجنبية، اتحاد كتاب العرب، دمشق، العدد 114، ، ص 4.
- ⁹ صالح القرمدي: 1985، مقدمة مترجمي كتاب دروس في الألسنية العامة لدي سوسير، الدار العربية للكتاب، تونس ، ص 8.
- ¹⁰ عمر لحسن، المرجع السابق، ص 3

- ¹¹ مجدي وهبة: ط 1، 1991، الأدب المقارن، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، دار نوبار للطباعة، مصر، ص 27.
- ¹² محمد غنيمي هلال: 1987 الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، ص 10.
- ¹³ أحمد المديني: فعل الترجمة بين الامكان والاستحالة، مجلة الثقافة الاجنبية، العدد 3، ص 260.
- ¹⁴ Susan Bassnett, Comparative literature, a critical introduction, Oxford, Blackwel, 1993, p 160
- ¹⁵ رشيد برهون: ط 1، 2003، درجة الوعي في الترجمة، تطوان، المغرب، ص 36.
- ¹⁶ محمد محمد الشناوي، محمد شفيق، السيد يعقوب بدر: 1993، العربية بالراديو، مطابع المركز الاقليمي، القاهرة، ص 235
- ¹⁷ مجدي وهبة، المرجع السابق، ص 44.
- ¹⁸ محمد غنيمي هلال، المرجع السابق، ص 90.
- ¹⁹ المرجع نفسه، ص 125.
- ²⁰ طه ندا: 1991، الأدب المقارن، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، ص 45.
- ²¹ محمد غنيمي هلال، المرجع السابق، ص 126
- ²² - Jean René Ladmiral : traduire , théorème pour la traduction, Payot, Paris 1979 p 13.
- ²³ ياسمين بوربيع فيدوح: 2009، إشكالية الترجمة في الأدب المقارن، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ص 122.